الغيبة الكبرى

قراءة

بحث في الحكمة الفوائد

الشيخ علي عيسى الزواد

الغيبة الكبرى

بحث في الحكمة والفوائد

الشيخ علي عيسى الزواد

دار الصديقة الشهيدة (عليها السلام)

مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدس سره

سوريا ـ السيدة زينب عليها السلام تلفاكس: ٦٤٧١٤٥٩

tabrizi_syr@hotmail.com www.tabrizi.org

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]

(1) سورة القصص الآية ٥.

۞ مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم المؤبّد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين...

وبعد:

اتفق علماء الطائفة الحقّة أجمعون، وأيدهم الوجدان بالأدلة والبرهان، أن الأرض لا تخلو من حجة أو إمام ظاهر معلوم أو باطن مستور، من باب لطفه على العباد ولئلا يكون للناس على الله حجة، بل لله الحجة البالغة، ولو خليت الأرض لساخت بأهلها، ولغارت غدرانها، ودرست أعلامها، ولأصبح أعاليها أسافلها. فصلاحها ـ من الله ـ بالإمام، ولو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة كما في الكثير من الأخبار.

ولابُدّ في كلٍّ عصر من إمام شاهد، يُدعى الناس في المحشر بإمامهم ويكون عليهم شهيداً وحسيباً، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾(١). ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(٢).

ولذلك انتجب الجليل بحكمته أوصياء لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وجعلهم أمناء على وحيه، وقوّاماً على خلقه، وشهداء يوم حشره أئمة هداة معصومين من كلّ زلل، منزّهين عن كلِّ نقص، مطهرين من كلّ رجس.

عدّتهم اثنا عشر المنكر لأحدهم كمنكرهم جميعاً، ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة الكفر والضلال والجاهليّة، وآخر تلك السلسلة المحمدية والعروة الوثقى وبقيتهم ووارثهم الإمام الثاني عشر، المنتظر سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحامل لكنيته، ابن الإمام الحسن العسكري، الذي يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورا، ينتقم لله تعالى من أعدائه الكافرين المعاندين، وينصر أولياءه المؤمنين.

المولود في النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هـ، الغائب غيبةً صغرى ابتدأها باستشهاد والده عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ، ودامت حتّى سنة ٣٢٩ هـ، بوفاة نائبه الرابع الأخير، وعندها بدأت غيبته

---

(١) سورة الإسراء: من الآية ٧١.

(٢) سورة النساء: ٤١.

الكبرى التامّة وهي مستمرّة إلى أن يمُنّ الله تعالى ببزوغ فجر ظهوره، وطلوع تلك الشمس التي تنشر النور ويضمحلّ عندها ظلام الجهل والكفر والعصيان.

وطول غيبته لقد كثر نظائرها، وشاع وذاع أمثالها، فالخضر ونوح عليه السلام وأصحاب الكهف وسلمان المحمدي وغيرهم الكثير الذين نطق القرآن بذكرهم أو بيّنت الروايات أعمارهم، وتناقلتها كتب السير طول بقائهم.

ولقد كثر المدّعون للباطل في هذا الزمان، وابتعد الناس عن الهدى والصلاح، واتّكلت الناس على أنفسها، تاركة انتظار الفرج من المنتظر عجل الله فرجه، فبين مُصرِّح بلسانه إنكاره صلوات الله عليه، وبين مَنْ ينطق فعله بالإنكار، وإن لم يُفصح عن ذلك باللسان، فتعلّقت الآمال بغيره، وانتظر الناس الفرج من سواه، غافلين وناسين لمراعاته صلوات الله عليه لهذه الأمّة، وكأنّهم أحرص عليها منه.

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٣٢٣: بسنده عن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - في حديث عن الغَيبة بقسميها -: «... وأما الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به فلا يثبت عليه إلا من قوى يقينه وصحّت معرفته ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضينا، وسلم لنا أهل البيت».

وفيه أيضاً ص٣٢٦: بسنده عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام - في حديث -: «إذا دارت الفلك، وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأي واد سلك، وقال الطالب: أنّى يكون ذلك وقد بليت عظامه فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج».

نعم يُنكره كثير من القائلين به لطول غيبته، بل ويخرج عن هذا الدين أهل الحداثة والتجديد في هذا الدين القويم، وكأنّه جاء ناقصاً وينتظر أمثالهم كي يقوموا على إكماله وتهذيبه، فيُنازعوا ربّ العالمين في ملكه وملكوته، ويكونوا ممن أنكره صلوات الله عليه وأنكر هذا الدين المنزل على المصطفى الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرين.

أحببت في هذا الكتيِّب أن أساهم في تثبيت المؤمنين المنتظرين، وأتواصى مع المحبين الموالين، وأقيم الحجّة على المعاندين، فسطّرت ما وفقني إليه ربّ العالمين، سائراً على هدي محمد وآله الطاهرين، في بحثِ فوائد وجود الإمام عليه السلام وإن كان غائباً، فإنّ الفائدة من وجوده الشريف لا تنحصر بمقام ظهوره، كما أنّ لغيبته علّة لا نعلمها ولا نُحيط بها، وهي مما خفي علينا وصرّح أئمة الهدى بأنّ تلك العلّة مِن مكنون السرِّ لا تُعلم إلَّا بعد ظهوره صلوات الله وسلامه عليه.

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٤٨٢: بسنده

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بُدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت: ولِمَ جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم؟ قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما....».

نعم. وجه الحكمة من غيبته على النحو التام، بمعنى العلّة الحقيقيّة لا ينكشف إلّا بعد ظهوره صلوات الله عليه، أمّا معرفة بعض وجوه الحكمة فهذا مما نُدركه، وقد نصّ أهل البيت عليهم السلام على بعضها، كما سنوافيك بها أثناء البحث بتوفيق الله تعالى وتسديده.

۞ الأوّل: فائدة وجوده (عليه السلام) حتّى في غيبته

إنّ فائدة الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ على الخلق عظيمة، لا يمكن لأحد من الكائنات أن يحويها، ولا يصحّ في العقول إدراكها، عظمة من عظمة الله تعالى، وجلال من جلال الله تعالى، وقدس من قدس الله تعالى، خليفة الله تعالى في أرضه وحجّته على عباده، وأمينه على وحيه، وعيبة علمه وخزانة أسراره. وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أدرى بمن فيه، وهم العارفون بأنفسهم الواصفون لها، والذين يُقدِّرونها حق تقديرها، فلنستمع إلى شيء مما قالوه:

في الكافي للشيخ الكليني ج١ ص١٩٨: بسنده عن الإمام الرضاعَلَيْهِ السَّلَامُ - في حديث طويل - يقول فيه: «إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة

والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات[1]، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز[2] البلدان والقفار، ولجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، والمنجي من الردى.

الإمام النار على اليفاع[3]، الحار لمن اصطلى به[4]، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك.

---

(١) توفير الفيء والصدقات: حفظها وادخارها لأهلها وصرفها في محلّها وعدم الإجحاف على مستحقيها.

(٢) الغيهب: الظلمة وشدة السواد، وأجواز: جمع الجوز وهو من كل شيء وسطه.

(٣) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٤) الظاهر أنّ المراد من هذه العبارة: أنّ الإمام عليه السلام هو مصدر دفئ الرحمة والرأفة والمحبة والمعرفة لمن تمسك به وقرب منه، كما أنّ النار مصدر دفئ لمن قرب منها، كقوله تعالى: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾(القصص: من الآية٢٩).

الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل [١]، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد[٢].

الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذابّ عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهّاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه إختياره[٣]، هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون[٤]، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلّت

---

(١) الهاطل: المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

(٢) الداهية: الأمر العظيم. والنآد: كسحاب بمعناها.

(٣) أي إنّ الإمام عليه السلام لا يمكن للناس أن تختاره كما يقول المخالفون.

(٤) الحلوم كالالباب: العقول، وضلت وتاهت وحارت متقاربة المعاني، وخسئت أي كلّت.

الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأنٍ من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم... الحديث».

ثُم لا تنحصر فائدة الإمام عليه السلام في حال ظهوره، بل الفائدة منه عليه السلام عظيمة ومتعددة حتّى في حال غيبته، فإنّ مجرّد وجوده في دار الدنيا حيّاً يكون سبباً لفوائد عميمة وجليلة، ومن هنا جاء تشبيهه عليه السلام بالشمس إذا سترتها الغيوم، فإنّ الشمس تصل فوائدها من دفئ ونور وإن كانت غائبة وراء الغيوم، كما ورد عنهم عليهم السلام:

في أمالي الصدوق ص١٦٤ بسنده عن سليمان الأعمش، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:«... لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب».

وفي كمال الدين ج٢ ص١٦٢: بسنده عن إسحاق بن يعقوب

أنه ورد عليه من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان: وأما علة ما وقع من الغيبة فان الله عزّوجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[١] إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالإنتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى»[٢].

والتشبيه بالشمس له دلالاته الكثيرة العظيمة، وسنتعرّض لهذا التشبيه في الخاتمة إن شاء الله تعالى، ويكفينا أن نذكر هنا بعض تلك الفوائد الجليلة من وجوده المقدّس عجّل الله فرجه في زمن الغيبة الكبرى:

الفائدة الأولى: بقاء وجود العالم

إنّ مجرّد وجوده عجّل الله فرجه هو سبب لبقاء وجود البشر على الأرض حتى في حال غيبته، ولولا وجوده الشريف لساخت الأرض ومن عليها، لأنّه العلّة الغائيّة من وجود هذا العالم الذي نعيشه،

(١) المائدة: من الآية١٠١.

(٢) راجع الاحتجاج ص ٢٦٣.

وعند انتفاء الغاية لا بُدّ أن ينتهي وينتفي المُغيّا عند الفاعل القادر الحكيم، ولبيان ذلك نقول:

إنّ الكون كما يحتاج إلى علّة في حدوثه، فكذلك يحتاج إلى علّة في بقائه، لأنّ الكون ممكن من الممكنات، والممكن ما تساوى فيه طرفا الوجود والعدم فحتّى يترجّح فيه الوجود يحتاج إلى ما يُرجّح وجوده على عدمه، لأنّ الوجود ليس ذاتيّاً له وإلاّ لو كان الوجود من ذاته لزم أن يكون واجبَ الوجود وهو خلف - أي لقد فرضناه ممكناً فكيف يكون واجباً بالذات - وكذلك الكون يحتاج إلى علّة لبقائه لنفس السبب الذي قلناه في احتياجه إلى علّة في حدوثه، لأنّه لم يخرج بحدوثه عن كونه ممكناً، وما دامت صفة الإمكان موجودة فالاحتياج إلى العلّة موجود.

والفاعل الحكيم لا يفعل إلّا لمصلحة وغرض وغاية، فالكون كما يحتاج إلى غرض من حدوثه وابتداء وجوده فكذلك يحتاج إلى غرض وغاية في بقائه واستمرار وجوده، وعند انتفاء المصلحة والغاية والهدف من وجود الشيء فإنّ الفاعل الحكيم لا يفعله، فلا يصحّ وجود العالم ولا بقاؤه إلّا لغاية وغرض، والفعل بلا غاية من العبث المنزّه عنه الحكيم تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا. قال عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾(١)

---

(١) سورة الدخان :٣٨.

والكون خلق من أجل الجن والإنس قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٢)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٩)

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (لقمان:٢٠)

والغاية من خلق الجن والإنس هي العبادة كما قال الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)

والعبادة تتوقّف على معرفة أمور محدودة ومنها معرفة العبادة والمعبود، وأمّا المعرفة التي لا غايــة لنهايتها، ولا نهاية لأمدها، متوقفة على العبادة، قال تعالى:

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩).

وتقوى الله والجهاد فيه تعالى إنّما يكــون بالعبادة الخالصة له تعالى.

ومن حصلت له هذه المعرفة النورانيّة التي تمّ فيضها عليه من الباري تعالى، فقد حظي بالخشية من الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(١)

ومن هنا وردت بعض الروايات في تعليل الخلق بالمعرفة.

ومنها: ما في الكافي للشيخ الكليني ج١ ص١٤١ من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام قال فيها: «... ابتدأ ما أراد ابتداءه وأنشأ ما أراد إنشاءه على ما أراد من الثقلين الجن والإنس، ليعرفوا بذلك ربوبيته وتمكن فيهم طاعته(٢)...».

ومنها: ما في علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص٩ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إنّ الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته».

ومنها: الحديث القدسي المشهور: «كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف».

إلى هنا وصلنا إلى أنّ الكون خُلق من أجل الإنسان والجان،

(١) سورة فاطر: من الآية ٢٨.

(٢) في التوحيد للشيخ الصدوق ص٣٣: طواعيته.

وهما قد خلقا من أجل العبادة وأصل العبادة والتوجّه إلى الله تعالى كما يتوقف على معرفة المعبود فكذلك المعرفة المتنامية المتزايدة متوقفة على العبادة.

والمُحَقِّق لتلك العبادة على حقيقتها، والحاصل على المعرفة في غايتها، هو النبي محمد وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، ما بزغ نجم وطلع نهار.

فحتّى يبقى الكون لابُدّ أن يبقى الإمام عليه السلام، فهو المحقق للغاية من الوجود، ولو خلت الأرض منه صلوات الله وسلامه عليه لساخت بأهلها، ومن هنا جاءت الروايات التي تؤكِّد هذه الحقيقة اليقينيّة.

فمنها: ما في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٢٠١ بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت».

وفي نفس المصدر السابق بسنده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: لا، قلت: فإنا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا تبقى، إذاً لساخت».

وفي نفس المصدر السابق أيضاً بسنده عن الإمام أبي

جعفر عليه السلام قال: «لو أن الإمام رُفِعَ من الأرض ساعة لَمَاجَت بأهلها كما يموج البحر بأهله».

قال الميرزا جواد التبريزي في صراط النجاة ج٣ ص٤٣٧:

«يصح القول أنهم علة غائية لخلق العباد، لا بمعنى أن الخالق يحتاج إلى الغاية، بل لان إفاضة فيض الوجود بسبب ما سبق في علمه أنهم السابقون الكاملون في الغرض والغاية من الفيض، والله العالم».

ومن هنا أيضاً وردت الروايات المستفيضة الدالّة دلالة قطعية بأنّ الكون إنّما خلق من أجل أهل البيت عليهم السلام، ومن تلك الروايات:

حديث الكساء الصحيح المعروف المشهور الذي ورد فيه:

«...وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحيّة، ولاقمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلّا لأجلكم و محبتكم...».

ومنها: الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه:«إنّ أبي آدم لما رأى اسمي واسم علي وابنتي فاطمة و الحسن والحسين وأسماء أولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنور، قال: إلهي وسيدي هل خلقت خلقاً هو أكرم عليك مني؟ فقال: يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية، ولا أرضا مدحيّة، ولا

ملَكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ولا خلقتك يا آدم...»[١].

قال العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ج٢٥ ص٩٣: «ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق».

ولا يُحقق هذه الغاية بوجودها الحقيقي إلّا الإمام عجل الله فرجه، فإنّ عباداتنا صوريّة، وليست عبادة حقيقيّة يمكن أن تُقاس بعبادته عليه السلام، لأنّ العبادة خضوع القلب والعقل والخيال والوهم وكلّ الجوارح، وهذا لا يتحقق منا، فبوجوده تتحقق العبادة الحقيقيّة، فتتحقق غاية الخلق، وكذلك معرفتنا لا تُحقق الغاية من الخلق، وعندما لا يوجد على الأرض مَنْ يُحقق هذه الغاية عندئذ يكون البقاء للكون عبثيّاً، والله سبحانه مُنزّه عنه تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا.

فائدة:

إنّ العلل المتوالية يصح التعليل بكلّ واحدة منها؛ فعندما تقوم وتُسأل عن سبب قيامك فتقول: أودّ الخروج، وعندما تُسأل عن سبب خروجك تقول: أريد الذهاب للسوق، وعندما تُسأل عن الغرض من ذهابك إلى السوق فتقول: لأجل شراء الدواء الفلاني... وهكذا تتوالى الأسباب. ويصحُّ منك من أوّل الأمر أن تُعلل قيامك بأي واحدة من تلك الأسباب المتوالية، فتقول: أريد القيام من

(١) الروضة: ١٧، وروضة الواعظين: ٧٢، وعنهم بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٥٣ ص٢٣.

أجل الذهاب إلى السوق، ويصحُّ أن تقول أريد القيام من أجل شراء الدواء... وهكذا.

فكذلك بالنسبة لخلق الكون يصحّ أن يُعلل بأنّه من أجل الإنسان أو من أجل العبادة أو من أجل المعرفة أو من أجل أهل البيت عليهم أفضل التحية والسلام. ولا منافاة في ذلك كلّه، فافهم واغتنم.

الفائدة الثانية: واسطة الفيض الإلهي

إنّ فيض الله تعالى الخير على الناس هو ببركة الإمام، فإنّ الإمام عليه السلام به يُمطر الناس، وبه يرزقون، وبه تُخرِج الأرض بركتها لهم، وبه ينزل الله تعالى كل خير عليهم.

لأنّ الإمام عليه السلام هو الأهل لتلك النعم الجليلة، وليس هناك شخص في هذا الزمان أهل لها غيره، وهذه النعم العظيمة لا يستحقّها إلّا مَن حقق الغاية من الوجود، ولَمْ وَلَنْ يُحقق أحد الغاية في زماننا غيره صلوات الله وسلامه عليه.

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٢٠٢ بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام: «نحن حجج الله في خلقه، وخلفاؤه في عباده، وأمناؤه على سره، ونحن كلمة التقوى، والعروة الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته، بنا يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، وبنا ينزل الغيث و ينشر الرحمة...».

وفي الأمالي للشيخ الصدوق ص٢٥٢ بسنده عن الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام، قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض...»[1].

الفائدة الثالثة: الأمان لأهل الأرض

العذاب تستحقُّه الناس بسبب معاصيها وجرأتها على مخالفة أوامر ربِّها ونواهيه، وتستحق العقاب في الدنيا قبل الآخرة بسبب بعدها وإعراضها عن أولياء الله تعالى وحججه، بل تستحقّه على عظيم جُرأتها على أصفياء الله تعالى وخُلفائه.

ولكن ببركة وجود الإمام عليه السلام يرفع الله تعالى العذاب عن الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «النجوم أمان لأهل السماء،

(١) ورواه في كمال الدين وتمام النعمة ص٢٠٧.

وأهل بيتي أمان لأمتي»(١).

وفي إكمال الدين ص١١٨ بسنده عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الكواكب جعلت في السماء أماناً لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: جُعِلَ أهل بيتي أماناً لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي جاء أمتي ما كانوا يوعدون».

فالإمام عليه السلام أمان للأمّة من أن ينزل عليها العذاب كما نزل بالأمم السابقة، ولا يعني ذلك أن لا ينزل البلاء والامتحان والاختبار على الناس، قال الله تعالى:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾(٢)

بل لا بُدّ من نزول البلاء على الناس حتى يتميّز الخبيث من الطيّب والمؤمن من الكافر، قال تعالى:

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٣)

والبلاء رحمة بالعباد يُعرِّضهم لثواب الصابرين، لأنّ ثواب الصابرين لا يتأتى إلّا بالصبر، والصبر لا يتأتى إلّا بالبلاء، فترتفع درجات المؤمنين، وعلى قدر إيمان العبد يكون بلاؤه وامتحانه.

---

(١) أمالي ابن الشيخ: ١٦٣. وعيون أخبار الرضا: ١٩٧. ومثله في صحيفة الرضا: ١١. عنهم بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٢ ص٣٠٨. والروايات في ذلك كثيرة.

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

(٣) سورة الأنفال: ٣٧.

في الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٢٥٢ بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: «ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ أشدّ الناس بلاءاً في الدنيا؟ فقال: النبيون، ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه».

كما أنّ البلاء عنوان للمحبّة فإنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً وأراد أن يرفع درجته ابتلاه، فإذا ابتلاه وصبر واحتسب فعند ذلك ترتفع درجته.

ففي المصدر السابق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء، وما أحب الله قوماً إلّا ابتلاهم».

وليس معنى ذلك أنّ كل مُبتلى هو محبوب لله تعالى، فإنّ البلاء قد يكون عقاباً وتنكيلا للكافر الفاجر، كما أنّ الله تعالى قد يبتلي الإنسان فيفشل العبد في البلاء والامتحان.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]

(١) (الكهف)

الفائدة الرابعة: إيصال الحق حال الغيبة

الإمام عليه السلام مجعول من الله تعالى لهداية الناس وإيصالهم إلى رضوان الله تعالى وجنّته، فبه تُعرف معالم الدين، وشريعة سيّد المرسلين، وبه صلاح الدين والدنيا، وغيبته عليه السلام لم تمنعه من ممارسة دوره في إيصال الحق لأهله، وهو صلوات الله عليه غير مهمل لمراعاة مصالح المؤمنين، وقد يلتقي مع بعض المؤمنين، ويقوم بتسديد بعض العلماء كما نقل عنه عليه السلام في توقيعه الشريف إلى الشيخ المفيد+:

«للأخ السديد والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، أدام الله إعزازه.

من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد...

سلام عليك أيّها الولي[1] المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا نبينا محمد وآله الطاهرين، ونعلمك ـ أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق ـ إنه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك، أعزّهم الله تعالى بطاعته، وكفاهم

(١) المولى خ ل.

المهم برعايته لهم، وحراسته، فقف - أَمَدَّك[١] الله بعونه على أعدائه، المارقين من دينه - على ما نذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه، بما نرسمه إن شاء الله.

نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين - حسب الذي أرانا[٢] الله تعالى لنا من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين - فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذُّلّ الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم، إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء...»[٣].

وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١ ص١٨٧، عن الخصال بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث -: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة ظاهر، أو خافي[٤] مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته...».

والأحاديث الدالّة على المطلوب كثيرة لا تخفى على من لديه أدنى تتبّع. كما أنّ مَن راجع كتب علمائنا الأعلام، واطّلع على

(١) أيّدك خ ل.

(٢) أراناه خ ل.

(٣) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج١ ص٣٧. واللأواء الشدّة. اصطلمكم: استأصلكم.

(٤) وفي نسخة: أو خائف.

ما سطّروه مِن لقاءات معه صلوات الله عليه فإنّه يعلم علم اليقين أنّه ﷺ قد أحاطت عنايته ورعايته هذه الأمّة.

بل كلّ مَن سلك معهم عليهم السلام سُبُل القربات، ووصلهم عليهم السلام بالزيارات، وأنس بهم في الظلمات، واستشعر وجودهم في الأرضين بعد السماوات، فإنّه لا شكّ يرى فضلهم عليه من الواضحات، ورعايتهم له من المسلّمات.

قال العلامة المجلسي في بحاره ج٥٢ ص٩٣:

«ولقد جربنا مرارا لا نحصيها أن عند انغلاق الأمور، وإعضال المسائل، والبعد عن جناب الحق تعالى، وانسداد أبواب الفيض، لما استشفعنا بهم، وتوسلنا بأنوارهم، فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت، تنكشف تلك الأمور الصعبة، وهذا معاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان.».

فإذا كان صلوات الله وسلامه عليه مصدراً لتلك الرحمات والفيوضات علينا فاللآزم أن نقوم بما يجب علينا تجاهه، وفعل ما ينبغي لنا فعله ابتغاءاً لمرضاة الله تعالى وطلباً للقرب منه، فالله تعالى أنعم علينا به، وتفضّل علينا بوجوده، ودفع عنّا العذاب تكريما له، وأنزل علينا الغيث وأنبتت الأرض وعاشت الكائنات بفضل نوره وجُودِه.

وما حجبه عنّا إلّا سوء الفعال، ونقض العهد الذي أخذناه في أعناقنا على موالاته ونصرته وعدم التهاون في أمره، ففي خبر

علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي المروي في إكمال الدين وغيبة الشيخ ومسند فاطمة عليها السلام لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وفي لفظ الأخير أنه قال له الفتى الذي لقيه عند باب الكعبة، وأوصله إلى الإمام عليه السلام: ما الذي تريد يا أبا الحسن؟ قال: الإمام المحجوب عن العالم، قال: «ما هو محجوب عنكم ولكن حجبه سوء أعمالكم... الخبر».

فعلينا أن نفي بالعهد حتّى يُمنّ علينا بشرف لقاءه، ففي التوقيع الشريف من الناحية المقدسة المروي في بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٥٣ ص١٧٧: «... ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم، السعادة بمشاهدتنا، على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه، ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا البشير النذير، محمد وآله الطاهرين وسلم...»».

أمّا كيف نفي بالعهد، فأقلّ ما يمكن فعله هو أن لا ننساه في ليلنا ونهارنا، ونلهج بذكره وفضله، ونعمل العبادات هديّة منّا إليه، لا لِحاجة منه إلى شيء منّا، وإنّما هي عنوان مودّتنا ومحبّتنا وشكرنا له عليه السلام.

كما أنّ اللآزم علينا أن لا نفعل ما يؤذيه ويُسخطه علينا،

فنجتنب عن المُحرّمات ونلتزم بالواجبات، وكُلّ فعل أحسسنا أو احتملنا فيه أذاه نبتعد عنه ونجتنبه رِعاية له، وبذلك نكون قد هيأنا أنفسنا لاستقباله، وكنّا في خندق الدفاع عنه، وساحة نصرته.

فلكي نكون مُهيّئين لنصرته ﷺ نحتاج إلى شحذ قوانا النفسيّة والجسديّة، فإنّ المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، سواء كان قويّاً في نفسه أو في جسده، والحاجة إلى تهذيب النفوس وتربيتها أهم بكثير من تقوية الأبدان وتنميتها، وتهذيب النفوس أصعب بكثير من القتال في ساحة النزال، فإنّ محاربة النفس وشهواتها وما يُمنّيه الشيطان اللعين صعب مُستصعب، ففي ساحة القتال مع العدو تعرف أرض المعركة وعدوّك وقوّته وأوقاته، أمّا في الحرب على النفوس لا تعرف ساحة النزال، بل كلّ مكان هو ساحة قتال، وعدوّك هنا لا تعرفه ولا تعرف مدى قوّته ولا وقت القتال، فكلّ الأوقات هي أوقات قتال وكلّ لحظة فيها صفّارة إنذار.

قال العلامة النوري في جنة المأوى: «إنّه قد علم من تضاعيف تلك الحكايات أن المداومة على العبادة، والمواظبة على التضرع والإنابة، في أربعين ليلة الأربعاء في مسجد السهلة، أو ليلة الجمعة فيها، أو في مسجد الكوفة، أو الحائر الحسيني على مشرفه السلام، أو أربعين ليلة من أي الليالي في أي محل

ومكان ـ كما فـي قصة الرمـان المنقولة في البحـار ـ طريق إلى الفوز بلقائه عَلَيْهِ السَّلَامُ ومشـاهدة جماله، وهذا عمل شـائع، معروف في المشـهدين الشـريفين، ولهم في ذلك حكايـات كثيرة، ولم نتعـرض لذكر أكثرها لعـدم وصـول كلّ واحد منهـا إلينا بطريق يعتمد عليه، إلا أن الظاهر أن العمل من الأعمال المجربة، وعليه العلماء والصلحـاء والأتقياء، ولـم نعثر لهم على مسـتند خاص وخبر مخصوص، ولعلهم عثروا عليه أو اسـتنبطوا ذلك من كثير من الأخبار التي يسـتظهر منها أن للمداومة على عمل مخصوص من دعاء أو صلاة أو قراءة أو ذكر أو أكل شيء مخصوص أو تركه في أربعين يوما تأثير فـي الانتقال والترقي مـن درجة إلى درجة، ومن حالة إلى حالة، بل في النزول كذلك، فيسـتظهر منها أن في المواظبة عليه في تلك الأيام تأثيراً لإنجاح كل مهم أراده»[1].

(١) راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٥٣ ص٣٢٥.

۞ الثاني: وجوه الحكمة من غيبته(عليه السلام)

الغَيبة تحققت لبعض الأنبياء عليهم السلام في أزمنتهم عن أممهم، فلم تكن غيبته عليه السلام ليس لها سابقة، بل لها نظائر في الأمم السابقة.

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٤٨٠ بسنده عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن للقائم منا غيبة يطول أمدها، فقلت له: يا ابن رسول الله ولم ذلك؟ قال: لأنّ الله عزّ وجلّ أبى إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وإنه لا بد له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1] أي سنن من كان قبلكم».

فمن الأنبياء الذين غابوا عن قومهم، إدريس، وصالح،

(١) الانشقاق :١٩

وإبراهيم[١].

ولا شك ولا ريب بأنّ غيبة الإمام عجّل الله فرجه هي بأمر الله تعالى، لكونه عليه السلام معصوماً، وهو عليه السلام ممن لا يسبقون الله تعالى بالقول فضلاً عن العمل، وبما أنّ غيبته عليه السلام بأمره تعالى، والله سبحانه وتعالى حكيم فلابُدّ أن تكون غيبة الإمام عليه السلام مشتملة على المصلحة والحكمة.

وهذا ما يجب أن ينعقد عليه قلب المؤمن، لاعتقاده في الله تعالى بأنّه حكيم، ولا يصدر منه الفعل إلّا إذا كان مشتملا على مصلحة.

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٤٨٢: بسنده عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ـ في حديث ـ: «إن هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف».

ولكننا قد نُدرك شيئاً من تلك المصالح والفوائد، ولقد صرّحت بعض الروايات بشيء منها، فنذكرها في فوائد:

الفائدة الأولى: الحفاظ على الإمام عليه السلام

إنّ مقتضى اللطف الإلهي أن ينصب هادياً، وقد فعل، لأنّ الله

---

(١) راجع كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص١٢٧، فإنّه تطرّق لهذه الغيبات.

تعالى خلق الخلق وأراد منهم الصلاح بالعبادة والمعرفة، فحتّى يُحقق غرضه يبعث وينصّب الهادين للناس، وإلاّ كان مُخلاً بغرضه.

ومقتضى لُطف الإمام عليه السلام أن يقوم بوظيفة الهداية والإرشاد للناس، وقد تصدّى لذلك، كما يجب على الناس الانقياد للمعصوم، ولكنّ الناس لم تعمل بواجبها، بل عملت على مخالفة الله وأوليائه، فلقد تكالب على أهل البيت عليهم السلام الأعداء، وقويت شوكة الباطل، وتعدّت المُعاداة حدوداً لا يمكن معها بقاء الإمام عليه السلام ظاهراً مشهوراً، فلاحقهم الأعداء ولم يتركوا لهم فرصة في إيصال الهدى للناس، ولم يتركوا سبيلا للمؤمنين يصلون من خلاله إلى سادتهم ومواليهم، فعاش أهل البيت عليهم السلام في السجون، وبقي أتباعهم بين سجين وبين مُختفي عن الأنظار لا يمكنه أن يلقى إمامه.

وتطوّر العداء حتى أصبح بعض الطالبيين ـ فضلا عن غيرهم ـ يكيدون بأهل البيت عليهم السلام، فتعاون بعض الطالبيين مع غيرهم كي يقوموا بالقضاء على أهل البيت عليهم السلام، فهذا جعفر الكذاب أخو الإمام العسكري عليه السلام يكيد بأخيه ويحسده على ما أعطاه الله تعالى، فكان يقول عليه السلام: إنّ مثلي ومثله كقابيل وهابيل، وعندما استشهد الإمام العسكري عليه السلام أخذ جعفر هذا بنهب وبيع كلّ ما في بيت أخيه مع علمه بأنّه ليس الوارث

وإنّما الوارث هو الحجة المنتظر عجّل الله فرجه، بـل تعدّى وتجرأ على بيع الصبايا، فلقد كانت هناك صبية جعفرية في دار العسكري عليه السلام يربونهـا فباعها، حتّـى ردّها بعـض العلويين بواحـد وأربعين ديناراً[1].

وإذا لم يـرض بأخيـه إماماً فكيف يرضـى بابن أخيـه، ولذا كان يريـد أن يفتـك بابـن أخيـه حتّى تخلو السـاحة لـه، وكان على اسـتعداد بـأن يتعاون مـع أي أحد في سـبيل القضـاء على الإمام عليه السلام، ولذا أخبر عنه أنّه في السـرداب يتعبّد فجاءوا لقتله بعد أن حاصروا السـرداب، فخرج صلوات الله وسـلامه عليه ولم يروه، كمـا خرج الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم عندمـا حاصره كفـار قريش في داره[2].

ولقد آذى الشـيعة في دعواه الإمامة وملاحقة مَن عنده حقوق شرعيّة كي يسـتولي عليها وبالخصوص تلك الأموال التي ترد من أماكن بعيدة، واسـتعان بالحُكّام الظلمة في سبيل سلب المؤمنين تلك الأموال[3].

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشـيخ الصدوق ص٣١٩ بسنده عن الإمام علي بن الحسـين زين العابدين عليه السلام - في حديث -

(١) راجع الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٥٤٢.

(٢) راجع كمال الدين للشيخ الصدوق ج٢ ص٤٤٢.

(٣) راجع كمال الدين ج٢ ص٤٧٦.

قال: «إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فسموه الصادق، فإنّ للخامس من ولده ولدا اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله عزّ وجلّ، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله عزّ وجلّ، ثم بكى علي بن الحسين عليهما السلام بكاءً شديداً، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا منه على قتله إن ظفر به، (و) طمعاً في ميراثه حتى يأخذه بغير حقه»[1].

ولقد تعدد سؤال الحجة عجّل الله فرجه في غيبته الصغرى عن جعفر الكذاب، فكانت أجوبته تُنبئ عن مدى الأذى الذي لحق بالإمام عليه السلام من كثرة تمادي جعفر الكذاب في دعواه الباطلة وقيامه على الفسق والفجور.

في غيبة الطوسي: ص١٧٤ بسنده نقل التوقيع الصادر من الناحية المقدّسة الذي يقول عليه السلام فيه: «وقد ادعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢ ص٤٨. والخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج١ ص٢٦٨. وعنه البحار: ٤٦ / ٢٣٠ ح ٥، وج ٤٧ / ٩ ح ٤. ورواه في علل الشرائع: ٢٣٤ ح١. وأورده في مقصد الراغب: ١٥٦ (مخطوط). وبعضه في دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص٢٤٨، والهداية الكبرى: ٢٤٨ ومناقب ابن شهر آشوب ٤: ٢٧٢.

رجاء أن يتم دعواه؟!!!

أبفقــه في ديــن الله؟!!! فوالله مــا يعرف حلالاً مــن حرام ولا يفرق بين خطأ وصواب.

أم بعلــم؟!!! فمــا يعلــم حقــاً مــن باطــل، ولا محكماً من متشابه، ولا يعرف حد الصلاة ووقتها.

أم بورع؟!!! فالله شــهيد علــى تركه الصلاة الفــرض أربعين يوماً، يزعم ذلك لطلب الشــعوذة، ولعل خبره قد تأدّى[1] إليكم، وهاتيك ظروف مســكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عَزَّوَجَلَّ مشــهورة قائمة.

أم بآيــة؟!!! فليــأت بهــا، أم بحجــة؟!!! فليقمهــا، أم بدلالة؟!!! فليذكرها. قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه:

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾[2]

---

(١) تأدّى أي وصل.

(٢) من سورة الإحقاق.

فالتمس تولى الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك، وامتحنه وسله عن آية من كتاب الله يفسّرها، أو صلاة فريضة يبين حدودها، وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره ونقصانه، والله حسيبه...»[1].

وهذا الوجه في غيبته عليه السلام - أي الحفاظ على نفسه - قد ذُكر في روايات كثيرة باختلافٍ في ألفاظها ومواردها منها:

ما في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٣٦١: بسنده عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث -: «القائم الذي يطّهر الأرض من أعداء الله عزّ وجلّ، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفا على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون».

بقي شيء:

إنّ جعفر المعروف بالكذّاب قد قرأتَ اليسير من الروايات الشريفة وتوقيعات الناحية المقدسة التي تذمّه، وما ذكرناه هو نزر يسير مما ورد فيه من انتهاكات لحدود الله تعالى، ولم أجد أحداً قد نفى عنه تلك الأفعال القبيحة، حتّى الذين قالوا بتوبته في آخر عمره.

وقيل أنّ الذي يدلّ على توبته التوقيع المقدس الذي يرويه

---

(1) راجع الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٨. وإثبات الهداة: ج ١ ص ٥٥٠ ب ٩ ح ٣٧٧، والبحار: ج ٢٥ ص ١٨١ ب ٤ ح ٤، وفي: ج ٥٠ ص ٢٢٨ ب٦ ح٣. وفي ج ٥٣ ص ١٩٣ ب٣١ ح٢١.

الشيخ في الغيبة عن الكليني ص١٨٨، والشيخ الطبرسي في الاحتجاج ص١٦٣ بسند الشيخ عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله أن يوصل إليه عليه السلام كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي. فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك الله من أمر المنكرين من أهل بيتنا وبني عمنا؛ اعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام....».

وقد يستدلّ بما دلّ على أنّ ولد فاطمة عليها السلام لا تمسّهم النار، إلّا أننا نقول إنّه مُخصص بكثير من الروايات، وأمثال هذا التوقيع صريح في تخصيصها حيث يقول عليه السلام: «ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة» فالخارج عن ولايتهم عليهم السلام خارج عنهم وليس منهم. وإن قربت لُحمته.

الفائدة الثانية: الحفاظ على الشيعة

لابُدّ من رفع المعاناة التي يعانيها الشيعة في الحفاظ على الإمام وخوفهم عليه وعلى أنفسهم، فالشيعة عاشت فترة ترى أئمّتها في السجون والاعتقال مع قلّة الناصر، وكثرة وتمكّن العدو، فيتعذر على الشيعة الوصول إلى أئمتهم عليهم السلام والاستفادة مباشرة من علومهم، وما دام الإمام عليه السلام ظاهراً فالشيعة مُلاحقة

ومُطاردة ومُعذّبة، والسجون امتلأت من المؤمنين الشيعة.

ولمّا كانت الشيعة تعيش المعاناة لذا كانوا يسألونهم مَنْ الأفضل هم أم من يعيش في دولة القائم عليه السلام؟ فيجيبونهم بأنّكم أفضل لأنّكم تصبحون وتمسون وأنتم خائفون على إمامكم وعلى أنفسكم. وهذا مما يدلّ على شدّة المعاناة التي يعيشها الشيعة فلا شكّ أنّ الشيعة آنذاك يسرّها أن يغيب إمامها عن الأنظار وهي مطمئنّة عليه وعلى سلامته وبالتالي تطمئن على نفسها، فيكون من اللطف هنا في مثل هذه الظروف حدوث الغيبة.

ففي الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٣٣٣ بسنده عن عمار الساباطي قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيما أفضل: العبادة في السر مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل، أو العبادة في ظهور الحق ودولته، مع الإمام منكم الظاهر؟

فقال يا عمار الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك والله عبادتكم في السر مع إمامكم المستتر في دولة الباطل وتخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة أفضل ممن يعبد الله عزّ وجلّ ذكره في ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر في دولة الحق وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق واعلموا أن من صلى منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة، مستتراً بها من عدوه في وقتها فأتمها، كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة، ومن صلى منكم

صلاة فريضة وحده مستتراً بها من عدوه في وقتها فأتمها، كتب الله عزوجل بها له خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلى منكم صلاة نافلة لوقتها فأتمها، كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة، كتب الله عزوجل له بها عشرين حسنة ويضاعف الله عزوجل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان بالتقية على دينه وإمامه و نفسه، وأمسك من لسانه أضعافا مضاعفة إن الله عزوجل كريم.

قلت: جعلت فداك قد والله رغّبتني في العمل، وحثثتني عليه، ولكن أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحق ونحن على دين واحد؟

فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزوجل وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل خير وفقه وإلى عبادة الله عز ذكره سرا من عدوكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحق خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنظرون إلى حق إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم، فبذلك ضاعف الله عزوجل لكم الأعمال، فهنيئا لكم.

قلت: جعلت فداك فما ترى إذا أن نكون من أصحاب القائم

ويظهر الحق و نحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالا من أصحاب دولة الحق والعدل؟

فقال: سبحان الله أما تحبون أن يظهر الله تبارك وتعالى الحق والعدل في البلاد ويجمع الله الكلمة ويؤلف الله بين قلوب مختلفة، ولا يعصون الله عَزَّوَجَلَّ في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهر، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمار لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر واحد فابشروا».

الفائدة الثالثة: تعريض المؤمنين لإيمان أكبر

إنّ في الغَيبة تعريض المؤمنين لإيمان أكبر ويقين أعظم، فإنّ من يؤمن بالإمام ويصل إلى مرتبة يقينيّة مُعيّنة ـ من دون أن يراه ـ لمجرّد ورود الروايات عن أهل بيت العصمة لهو أعظم إيمانا ممن جَالس الإمامعَلَيْهِالسَّلَامُ وشاهد معاجزه الباهرة وألطافه الظاهرة، ومع ذلك لم يتجاوز تلك المرتبة اليقينيّة.

ولذا ورد في من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٤ ص٣٦٦ عن رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «يا علي. أعجب الناس إيماناً، وأعظمهم يقيناً، قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي، وحجب

عنهم الحجة، فآمنوا بسواد على بياض»[1].

كما أنّ المؤمن في الغيبة يحظى بثواب عظيم، وإن مات على فراشه فهو كالمتشحِّط بدمه بين يدي الحجة عليه السلام؛ لكونه منتظراً لإمامه، حبس نفسه على مولاه، لا تهزّه العواصف، ولا تُحركه الفتن، ولا تُغريه الأماني، أشدّ من الجبال الرواسي.

ففي كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٣٢٣ بسنده عن الإمام علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام: «مَنْ ثبت على موالاتنا[2] في غيبة قائمنا أعطاه الله عزّ وجلّ أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأُحد».

وفيه أيضاً ص٣٦١: بسنده عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث -: «طوبى لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة».

وفي كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني ص٢٠٠ بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً كان كمن هو في الفسطاط الذي

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٢٨٨. وعنهما وسائل الشيعة للحر العاملي ج٧٢ ص٩٢.

(٢) في بعض النسخ: «على ولايتنا».

للقائم عليه السلام»[1].

وفي نفس المصدر السابق بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العباد عملاً إلَّا به؟ فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده [ورسوله] والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا ـ يعني الأئمة خاصة ـ والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السلام، ثم قال: إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء. ثم قال: من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا هنيئاً[2] لكم أيتها العصابة المرحومة».

---

(١) في بعض النسخ «كان كمن في فسطاط القائم عليه السلام».

(٢) في بعض النسخ «فجدوا تعطوا، هنيئا، هنيئا».

الخاتمة

هذا آخر ما أحببنا إيراده في هذه الرسالة، وإن كان الموضوع يمكن أن يكون موسّعاً، وهناك مصالح راجعة إلى شخص الإمام عليه السلام كاستيعاب جميع بلاءات الأنبياء على أشكالها وطولها، ومن ضمنها أن يجمع كلّ الأوقات التي غاب فيها الأنبياء فيأتي عليها كلّها كما يظهر من بعض الروايات، كما في علل الشرائع ج١ ص٢٣٤ بسنده عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن للقائم عليه السلام منا غيبة يطول أمدها، فقلت له: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: إن الله عزّ وجلّ أبى إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنه لابد له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1] أي سنناً على سنن من كان قبلكم».

(١) الانشقاق:١٩.

كما أنّ العديد من الروايات دلّت على أنّه إنّما غاب عليه السلام لئلا يُجبر على البيعة لأحد من الظالمين، كما في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٤٧٩ بسنده عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على (هذا) الخلق لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج».

ولقد مرّ عليك في بداية هذا البحث تشبيهه في غيبته عجل الله فرجه بالشمس إذا سترها السحاب، وهذا التشبيه له دلالاته الكثيرة، حتّى أنّ الشيخ المجلسي ذكر أنّه اهتدى إلى ستة عشر وجهاً، عدّ منها ثمانية، ولم يذكر الثمانية الأخرى، لأنّ بعض العقول أو النفوس لا يستوعب ذلك فقال:

«فقد فتحت لك من هذه الجَنة الروحانية ثمانية أبواب، ولقد فتح الله علي بفضله ثمانية أخرى تضيق العبارة عن ذكرها، عسى الله أن يفتح علينا وعليك في معرفتهم ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب»[1].

ونحن نذكر لك أيُها القارئ العزيز شيئاً من تلك الوجوه:

الأوّل: بالشمس ـ وإن سترها السحاب ـ تبقى الحياة، ولولا وجود الشمس لأصبحت الأرض غير صالحة للحياة، فتنخفض درجات الحرارة إلى حدٍّ لا يُمكن معه الحياة، فكذلك الإمام عجل الله فرجه فإنّه وإن كان غائباً إلّا أنّ الحياة من دونه لا تبقى، وقد مرّ عليك

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٥٢ ص٩٤.

أنّه لولا الإمام عليه السلام لساخت الأرض ومن عليها.

الثاني: الشمس المحجوبة وإن كانت نافعة إلّا أنّ الناس ينتظرون ظهورها كي تتمّ الفائدة منها وتكمل، وبعض البلدان التي لا تظهر عندهم الشمس إلا نادراً نجدهم ينتظرون ظهورها، وعندما تبزغ عليهم ينتشرون ويتعرّضون لأشعّة الشمس طلباً للدفئ والصحّة، لأنّ الجسم الإنساني بحاجة إلى أشعة الشمس، وكذلك الإمام عجل الله فرجه فإنّه وإن كانت فائدة وجوده عظيمة في حال غيبته إلّا أنّ المؤمنين المخلصين ينتظرونه لتمام الفائدة وكمالها.

الثالث: إذا ستر السحاب الشمس لا تجد أحداً ينكر وجودها، لأنّها وإن لم تُرَ إلّا أنّ آثارها موجودة ظاهرة بيّنة لكلِّ ذي حسٍّ سليم، وإنّ منكر وجودها مُكابر معاند، فكذلك وجوده المقدس عجل الله فرجه فإنّ إنكاره من المُكابرة والعناد مع ظهور آثاره وتجلّي فيوضاته لمن كان سليم الحسِّ والشعور، وكان ذا بصيرة من ربِّه تعالى.

الرابع: إنّ الشمس في بعض الأحيان يحجبها السحاب الكثيف حتى يكون النهار كالليل في الظلمة، ويكون هذا الظلام نجاة ومصلحة لمن يلاحقه العدو الذي يريد الفتك به والنيل منه، وكذلك الإمام عجل الله فرجه فإنّه بلغ الظلم بشيعته حدّا حتّى أصبحت المصلحة لهم في غيبته.

الخامس: إذا ضعُفت أبصار الناس فإنّها لا تقوى على نور

الشمس، فيضرّها ظهورها ونورها لعدم احتمالهم لنورها الشديد. وكذلك الإمام عليه السلام فإنّ ضعف بصائر الناس وقلّة دينهم يمنعانهم من الإستضاءة بنور الإمامة، لأنّه يحملهم على المحجّة البيضاء، والحقّ الذي لا يُطيقون، ولولا غيبته عليه السلام لقلّ الشيعة في الأمصار، لعظيم بلائهم وامتحانهم وشدّة ضعفهم.

السادس: إنّ الشمس قد تظهر بين السحاب ويراها من كان مراقباً لها ومنتظراً لبزوغها، فكذلك الحجة المنتظر عليه السلام فإنّ بعض المنتظرين له المشغوفين بحبّه قد يُمنُّ عليهم برؤيته والتشرُّف بلقائه، وهذا معلوم شائع عن بعض العلماء، ولقد عقد العلامة المجلسي باباً في ذكر من رآه صلوات الله عليه في أوّل الجزء ٥٢، واستدرك العلاّمة الميرزا حسين النوري على البحار في جنّة المأوى وذكر تسعاً وخمسين حكاية في من تشرّفوا بلقاء الإمام عليه السلام.

السابع: إنّ الشمس نفعها عظيم، والذي لا ينتفع ببعض منافعها فهو لأمر فيه، ولحجاب جعله بينه وبين الشمس، فكذلك الإمام عليه السلام فإن نفعه عامّ ولكن بعض الناس عمي وأوجد الحجب بينه وبين الإمام فلم تصل المنفعة التامّة له بسوء فعله واختياره.

الثامن: إنّ الشمس منافعها تصل إلى الناس بحسب ما هيأ كلّ شخص من طرق وصول الفائدة إليه، وبقدر ما يرفع من الموانع،

فكذلك الإمام عليه السلام فإنّ عموم نفعه يصل إلى كلّ شخص بحسب ما يهيء من سبل ويرفع من موانع وحجب.

التاسع: إنّ الناظر إلى الشمس والمنتظر لها ـ عندما تسترّها بالغيوم ـ إنّما يكون نظره إلى الأعلى، فكذلك علو مرتبة الإمام عليه السلام وشرف مقامه الرفيع يقتضي من العبد أن ينظر بنور قلبه إلى المراتب العالية، والدرجات الرفيعة حتّى ينتظر أو يرى الإمام المنتظر عليه السلام.

العاشر: ما هو ثابت علمياً أنّ الكواكب كالأرض تدور حول الشمس وفي فلكها، ولا يختلف ذلك بين ظهور الشمس وغيابها وراء السحاب، فعلى المؤمنين الموالين المنتظرين أن يكون محور أفعالهم وأقوالهم رضى إمامهم، ويدوروا في فلك هداية مولاهم، لا يخرجون عنه أبداً، سواء كان ظاهراً أو غائباً.

الحادي عشر: لو أنّ الكواكب خرجت من فلك الشمس لاختلّ نظام الكون وفسد، ولا يفرق الحال بين ظهور الشمس وغيبتها وراء السحاب، وكذلك الناس إذا تمرّدوا على إمامهم وخرجوا من دائرته فإنهم يتيهون ويفسد عملهم واعتقادهم، سواء كان ظاهراً أو كان غائباً.

الثاني عشر: إن الشمس مصدر للضياء بخلاف القمر فإنّ نوره مستمد من نور الشمس، فنور القمر من نور الشمس وإن خفيت الشمس علينا بسبب الغيوم، والإمام عليه السلام مصدر للضياء والنور

وليس نوره مستمداً من غيره من الخلق، وإن الهدى الذي عليه بعض الناس مستمدّ من نوره وإن كان غائباً.

الثالث عشر: الشمس يعجز البشر عن الوصول إليها لبعدها وعلوها، ولا يفرّق الحال بين غيبتها وظهورها، فكذلك الإمام يعجز البشر عن الوصول لمقامه الشريف، وإن كان غائبا عن الأنظار، ففي الزيارة الجامعة:«فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فايق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع».

الرابع عشر: إنّ الشمس لا يمكن الاقتراب منها لشدّة حرارتها، فكذلك نور الإمامة لا يمكن لأحد أن يقترب منه، فإن العقول قاصرة عن إدراكهم، ولقد ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: «يا علي، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا»[1].

الخامس عشر: الشمس تضرّ من أطال النظر فيها، ويُكتفى في معرفة وجودها النظر الخاطف إليها، والتمعّن في آثارها، وكذلك الإمام عليه السلام فإنّ النظر والتفكّر في عظيم ذاته لكونه فوق طاقة البشر

(١) شرف الدين النجفي في تأويل الآيات الباهرة في العترة الطاهرة: ١ / ٢٢١ ح ١٥. وعنه مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ج ٢ ص ٤٣٩. وأورده البرسي في المشارق: ١١٢. وأخرجه في مختصر البصائر: ١٢٥، وفي المحتضر: ٣٨ و ١٦٥ ومناقب ابن شهرآشوب: ٣ / ٢٦٧ نحوه.

يجعل العبد يزيغ عن الحق، فيُكتفى بالنظر في آثاره الشريفة.

السادس عشر: إنّما يتميّز الليل من النهار بالشمس وإن كانت محجوبة بالسحاب، فكذلك الإمام عليه السلام فإن تميّز الهدى من الضلال والإيمان من الكفر به صلوات الله وسلامه عليه وإن كان غائباً.

السابع عشر: بظهور الشمس تنكشف الحقائق التي كانت مستورة بالليل، وكذلك الإمام عليه السلام بظهوره تنكشف الحقائق التي سُتِرت عنّا في ظلمة غيابه صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد اكتفينا بهذا المقدار المحقق للغرض، ونسأل الله تعالى قبول العمل، والثبات على ولايتهم ومحبتهم، والتوفيق لطاعتهم واجتناب معصيتهم، كما نسأله تعالى أن يجعلنا من عبيده المخلصين له الذابين عنه، والمحامين عن ساحة قدسه والمستشهدين بين يديه، كما نسأله تعالى أن يوفقنا لنصرة أوليائنا (صلوات الله عليهم أجمعين)، ويرزقنا شفاعتهم في الدنيا والآخرة، إنّه سميع قدير، وبالإجابة جدير.

ثبت المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الاحتجاج للشيخ الطبرسي.
٣. الأمالي لابن الشيخ.
٤. الأمالي للشيخ الصدوق.
٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي.
٦. تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي.
٧. الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي.
٨. دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الإمامي).
٩. علل الشرائع للشيخ الصدوق.
١٠. عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق.
١١. الغيبة للشيخ الطوسي.
١٢. الكافي للشيخ الكليني.

١٣. كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني.
١٤. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق.
١٥. مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني.
١٦. المناقب لابن شهر آشوب.
١٧. الهداية الكبرى للخصيبي.

المحتويات

مقدمة ٥

الأوّل: فائدة وجوده (عليه السلام) حتّى في غيبته ١٠

الفائدة الأولى: بقاء وجود العالم.......................... ١٤

الفائدة الثانية: واسطة الفيض الإلهي...................... ٢١

الفائدة الثالثة: الأمان لأهل الأرض ٢٢

الفائدة الرابعة: إيصال الحق حال الغيبة ٢٥

الثاني: وجوه الحكمة من غيبته(عليه السلام) ٣١

الفائدة الأولى: الحفاظ على الإمام عليه السلام ٢٣

الفائدة الثانية: الحفاظ على الشيعة ٨٣

الفائدة الثالثة: تعريض المؤمنين لإيمان أكبر ١٤

الخاتمة ٤٤

ثبت المصادر ٥١